الدمى الطينية

كانت الدمى الطينية من بين أبرز النتاجات التي صنعها العراقيون القدامى، ظهرت أقدم نماذجها في العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار وفي هذا العصر. عثر على أقدم النماذج منها في الكثير من القرى الزراعية وكانت صغيرة الحجم في الغالب لا يتجاوز طولها ٨ سم ولم تكن مفخورة في الغالب. إن الغالبية العظمى من هذه التماثيل كانت مصنوعة للأطفال على نحو غير متقن ولا تتمتع بأية قيمة فنية. ينظر الشكل الآتي :

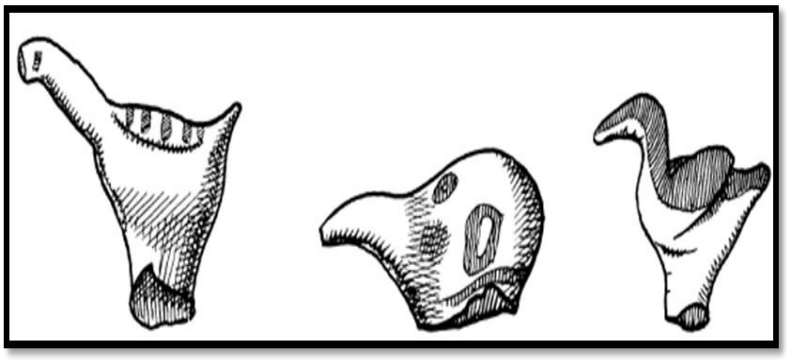

أما تلك التي تعتمد على الشكل الإنساني أو تتخذ صفات الإنسان فهي ذات مغزى ديني أو سحري يضعها في دائرة التماثيل المعبودة. نفذت الاشكال البشرية باسلوب تجريدي، منها ما يمثل ما عرف ب(الإلهة الأم)، وسبق وأن ذكرنا أن هذا الشكل الأنثوي غالباً ما ظهر بشكل المرأة العارية السمينة المكتنزة، وهي ترمز إلى الخصوبة والتكاثر.

عثر على مثل هذه الاشكال في العديد من مواقع هذا، مثل موقع أم الدباغية، ينظر الشكل الآتي:

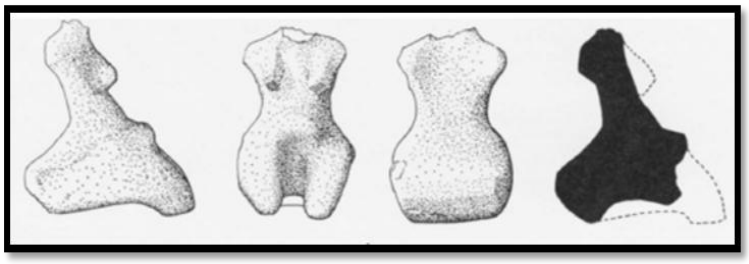

وعثر في موقع جرمو لوحده على أكثر من ٥٠٠٠ آلاف نموذج، وهي تمثل أشكالاً متطورة لنساء وأشكالاً أخرى لحيوانات مصغرة، يمكن تحسس الناحية الجمالية في العديد منها.

ثم تطورت صناعتها إلى أشكال أكثر واقعية ثم جرى تحوير الاشكال لتنحى باتجاه التجرد والرمز بحيث يصعب مع الحالة الأخيرة معرفة مراحل الوصول إلى هذه الدرجة الشديدة من التجريد، وقد أريد في هذا التحوير أن يكون أيضاً نوعاً من أساليب التعبير الفكري تجاه رؤية الاشكال أو نوعاً من اللغة في رؤية الشيء والتعبير عنه. ينظر الشكل الآتي :

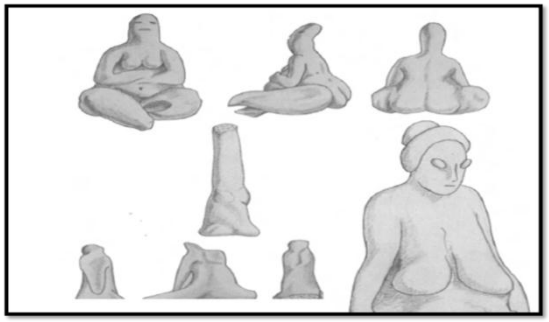

وفي عصر سامراء ظهرت أشكالاً جديدة من الدمى حملت على أجسادها خطوط أفقية، وعلى أكتافها دوائر على شكل قطع طينية صغيرة ربما تمثل تلك الخطوط (وشم) أو ربما تمثل ملابس مزينة بخطوط أفقية، نفذت بأساليب عدة منها الواقعية والتجريدية والرمزية. ينظر الآتي :

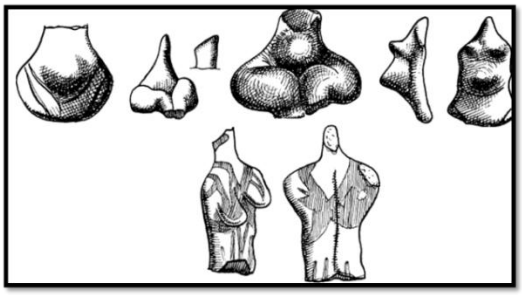

ومن عصر حلف وجدت بعض النماذج المنحوتة من الطين مغطاة بصبغة المغرة، وهي صبغة تميل إلى اللون البني، وجد بعض منها في موقع شاغار بازار في سوريا. ينظر الشكل الآتي :

عموماً كانت التماثيل الطينية البشرية من هذا العصر في الغالب أنثوية مبالغ في التركيز على تضخيم بعض أعضاء الجسم وخاصة الأعضاء ذات الأهمية الجنسية كالصدر والعجز، وهي ذات سرة بارزة وخصر أهيف ومعظمها تكون بوضع قرفصي، وفي قسم منها ينعدم الرأس ويصبح بشكل كتلة مضغوطة (اسفيني) ويحيط الذراعان بالصدر في الغالب.

فقد ظهرت التماثيل الطينية من موقع الاربجية بوضعيات مختلفة منها الوقوف والجلوس، وتبدو أحياناً متميزة برشاقة غير مألوفة بشكل يوحي بتطور بارز في حرية الحركة، وتبدو ناحية إستخدام الزينة على شكل وشم على اليدين. ومثل هذا يبدو مألوفاً في نماذج أخرى أشهرها النموذج الممثل لإمرأة فلاحة من موقع حسونة فهي تبدو بإمتلائها ووجهها الأصيل وملامح القوة البادية ممثلة لكل رموز المجتمع الزراعي. ينظر الشكل الآتي :

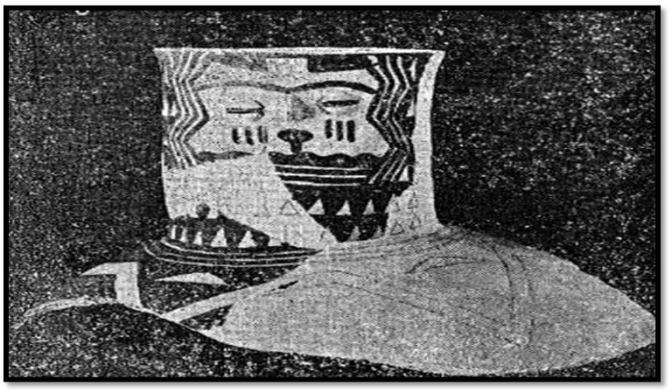

وهناك دمية مجوفة مقطوعة الرأس، ذات عنق مثقوب من الأعلى وهي مصبوغة باللون البني بخطين إحداهما في الحافة العليا والآخر أسفل العنق يدوران حول كتفي الدمية، واليدان مسترسلتان إلى الجانبين ومطويتان بحركة هادئة لتمسك كل يد بأحد النهدين وتدور حول كل يد ثلاثة خطوط متوازية، وكذلك حدد خط فاصل بين اليدين الملتصقتين على الجسم ليتم فصلهما، ورسمت على الرسغ زخرفة بهيئة أساور تتكون من أفريزين صغيرين يدوان حول الرسغ، وكانت ثلاثة خطوط منقطة في كل جانب متقاطعة تمتد من العنق وحتى الحوض. وقد ميز النحات دميته ببعض السمات بحيث تبدو للناظر أنثوية دون أدنى شك، وتبرز السرة على شكل مربع مصبوغ باللون القهوائي وفي داخله وردة رباعية، وهناك خطوط تتدلى على ظهر الدمية. ينظر الشكل الآتي :

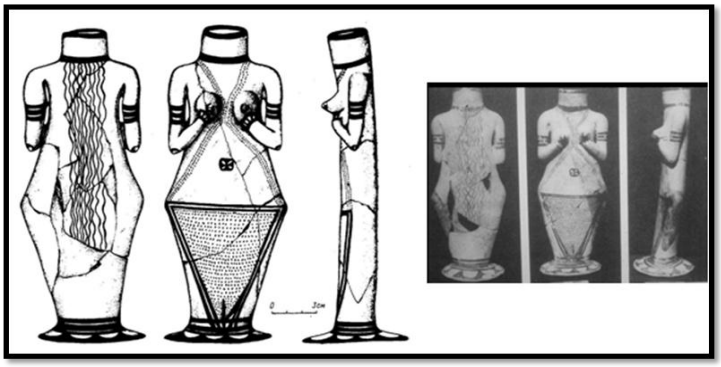

ومن موقع تبة كورا ظهرت دمى صغيرة ذات صدر بارز تعطي ملامح إمراة في وضعية القرفصاء، ويظهر رأس فيه عيون محددة باللون الأسود وتزين الرأس والكتف والأذرع خطوط ملونة، وتفسر الألوان المنفذة على الجسم، بأنها تمثل الوشم والملابس. ينظر الشكل الآتي:

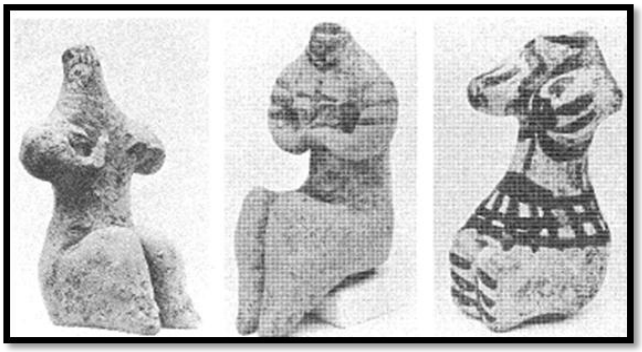

ظهرت عدة تفسيرات حول وظيفة هذه الدمى البشرية، فهناك من يعتقد أن هذه الدمى الطينية تمثل لعب أطفال، بدلالة :

١- لايوجد شكل موحد لهذه الدمى.
٢- عثر على أغلبها في البيوت السكنية.
٣- إن شكل الصدر والعجز المضخمين لا يشيران إلى شيء يخص الخصوبة.
٤- قياساً على الدليل الاثنولوجي فإن لمثل هذه الدمى استعمالات مختلفة، منها سحرية أو أشياء جميلة تقتنى أو لعب أطفال.

لكن هناك من يرى أنها ترتبط بفكرة العبادة والخصب شأنها في ذلك شأن الولود، لذا مثلت المرأة بأوضاع مختلفة، منها نساء بوضعية الحمل عملها الإنسان لغرض التشبه بالقوى الخلاقة في الطبيعة، وبهذا تكون ذات خصوصية متمثلة بالأمومة والإنتاج، إذ بولغ في تصوير الأعضاء الجنسية تأكيداً لفكرة الخصوبة كالصدر الممتليء الذي يشير لفكرة الغذاء.

وهناك من يعتقد أنها أستعملت كتميمة من قبل المرأة عند المخاض لتساعدها عند الولادة.

وتمثلت الدمى الحيوانية في الغالب بحيوانات أليفة مصنوعة معمولة من الطين ومجففة بالشمس، منها الثيران والكلاب والماشية والغزلان والخنازير والفئران والطيور. عثر على بعض منها من موقع الاربجية، تمثل طيوراً ربما حمام، وهي ذات أشكال جميل. ينظر الشكل الآتي :

وهناك نحت فخاري لحيوان القنفذ من موقع الاربجية ، ربما يمثل آنية فخارية لحفظ السوائل، وهو بحالة وقوف، زين الجزء العلوي، وهو الظهر، بمجاميع من الأشواك شكلت بهيئة خطوط جانبية مستعرضة. أما الجزء السفلي الممثل لبطن الحيوان فقد شكل برسم نقاط، ويبرز في أعلى الظهر فوهة كبيرة نسبةً لجسد الحيوان، ينظر الشكل الآتي :

قدمت عدة تفسيرات لهذه الدمى الحيوانية، فمن الباحثين من يعتقد أنها تمثل رمزاً للخصوبة، وهناك من يرى أنها تمثل رموز ذات أهمية دينية وسحرية، فهي من الممكن أن تكون بديلاً عن قرابين نذرية أو ما شابه، أو ربما كانت بمثابة تعاويذ يحملها الشخص فيكون من الصعب الإيقاع به لأنها تنقل له قوة الحيوان. وهناك من يرى أنها ليست سوى لعباً للاطفال.